ثانيا: المدارس اللسانية التي تأثرت بالسوسيرية: في ظل سيطرت أفكار سوسير على مجمل الدراسات اللغوية وفي مختلف الميادين العلمية في العالم من الجامعات والمخابر العلمية والمجلات والجهود الشخصية للباحثين والعلماء انتقل علماء كثيرون من ميادين علمية مختلفة إلى اللسانيات وبشكل خاص إلى فكره بالتحديد والمفارقة التي لا يكتمها هذا السباق تمكن في صعوبة إيجاد من لم يتأثر بسوسير –وليس العكس– لأنّه فيما يبدو قد أثّر في الجميع دون استثناء عدا من لم تصله أفكاره، فأمّا الذين تأثروا به علناً فقد استطاع كثير منهم أن يطوّر بعض أطروحاته في إطار تدعيم الجزئيات الأساسية ضمن جوانب أضيق أو أوسع من مستويات التحليل اللساني وهذا كثير، وأمّا الذين عارضوه –وهم قلّة– فهم النقّاد الحقيقيون الذين حاولوا تجاوزه وهذا يعني أنهم مطّلعون على أعماله وجعلوا منه منطلقا في فتح آفاق جديدة للعلم المنجز، وعرف هذا بلسانيات ما بعد سوسير (***la linguistique poste Saussurienne***)، لذا سنكتفي بالتعرّض –باقتضاب شديد– إلى المدارس التي يمكن لنا تسميتها بالسوسيريات الحديثة (***nJo-Saussurisme***) والتي كانت إلى جانب مدرسة جنيف هم علماء حلقة براغ اللغوية التروباتسكوية والمدرسة الوظيفية الفرنسية التي تزعمها أندري مارتنيه، ومدرسة كوبنهاجن للعبقري الدانمركي لويس يلمسلايف، والبهافيورية البلومفيلدية، وسنتوسع بشكل لطيف مع نوام تشومسكي في إطار المدرسة التوليدية التحويلية بمختلف تطوراتها المنهجية الإبستمولوجية نظرًا لعظيم أثرها على اللسانيات العامة وعلى التفكير اللساني في العالم العربي وبخاصة النماذج المتأخرة منها على النحو الذي نجده عند رواد وزعماء اللسانيات العربية في إطار الكتابة التوليدية التحويلية للغة العربية كما هو الحال عند مازن الوعر والفاسي الفهري ومحمد الخولي وميشال زكرياء...

1/2) – حلقة براغ اللغوية *1928*م (لسانيات أصوات اللغة)، وفضلها في صقل الفونولوجيا: إنّ المتأمّل الحصيف في الكيفية التي استطاع بها سوسير إحداث ثورة

كوبرنيكية، أو ما سمّاه ميشال أريفيه (القطيعة السوسيرية – *la rupture saussurienne*)[1] في تاريخ *1916*م مباشرة بعد نشر الدروس، وقد كنّا واثقين في التساؤل عن مآل اللسانيات لو اختار سيشهاي وبالي التاريخ والانضمام إلى الأسهل والأشهر، وعدم تكلّفهما مغامرة فتح موضوع البنية وتقديم أفكار سوسير جاهزة إلى العالم "..وقد كان هذا الأخير من حظه حدوث ذلك.."[2] فإذا كنّا قد انتهينا مع مدرسة جنيف إلى دحض المقولة التقليدية التي جعلت عند بعضهم سوسير قائدًا أسطوريًا في اللسانيات تحيطه الخرافة دونما تعليل أو تبرير، والتي مفادها (وأخيرًا جاء سوسير/*En fin il vient Saussure*)، فإنّنا لن نكون مبالغين مع علماء براغ الذين كانوا على شغف عظيم وانتظار طويل لنظرية جديدة في اللغة تفسّر أحداثها تفسيرًا منطقيًا وفق الأصول العلمية الصارمة التي اعتادوها في مصنفاتهم، وقد شعروا منذ مدّة يتوجسون وجود ذلك، وتحسسوه في العلوم الوافدة إليهم من أوروبا إذ مع علماء براغ الألمعيين يمكن القول بكلّ قناعة وارتياح، **وأخيرًا عاد سوسير...**

لقد عاش سوسير مهمشا بين الفرنسيين طوال إقامته في باريس وبالتحديد في كولاج دو فرانس (*Colllge de Frans*)،[3] وبقي فكره بعد مماته فكرًا مغلقا لفترة من الزمن في زاوية شبه منسية من التاريخ عن قصد، وذلك بسبب هيمنة الفكر التفسيري التعليلي التاريخي، ثم طغيان عنجهية التفكير التفسيري الوضعي الاجتماعي الذي تزعمه الوريث "أنطوان مييه" والذي ألبس سوسير ثوب العالم الدغماتي صاحب التعليلات المجانية،[4] وكلّ هذا وذاك كان من شأنه أن يحجب هذا الفكر العظيم عن أغلب الباحثين في فرنسا، ومنع اللسانيات من الانطلاقة الفعلية في سياق معرفي جديد مخالف للوضع العلمي السائد آنذاك، واستمر الأمر كذلك حتى

---

[1]– ميشال أريفيه، **البحث عن فرديناند دوسوسير**، ص *33*

[2]– عبد الرحمن الحاج صالح، دراسات وبحوث في علوم اللسان. ص*153* بتصرف

[3]– هناك رسالة يعود تاريخها إلى سنة *1895*م، حرّرها سوسير لزميله أنطوان مييه حيث يعبّر فيها عن المعاناة التي يصادفها في تحرير سطر واحد يصف فيها الأحداث اللغوية وصفًا علميًا، وقد أشارت هذه الرسالة عن معاناته الصحية، ولكنّنا نفهم منها أيضا **(يعني المسكوت عليه)** أمورًا أخرى متعلقة بالمعاملة التي كان يتلقاها من المجتمع بصفة عامة، هذا الأخير الذي عمل بشكل مباشر على دفن فكره بعد مماته، للتفصيل ينظر: خولة الطالب الإبراهيمي، **مبادئ في اللسانيات**. ص*32*–*33* بتصرف.

[4]– جيلي محمد الزين، **الوصفية العربية**. بتصرف

انتخب التاريخ شنشنة من اللسانيين الذين كان تكوينهم تكويناً علميًا أكاديميًا صارمًا، والذين جمعتهم الأفكار الحقيقية والإشكالات الفعلية في العاصمة التشيكوسلوفاكية (براغ) انطلاقا من عودة (كارسفسكي)* من فرنسا وبدءًا من سنة (*1925/ 1926م*)، وهذا التاريخ الأخير هو الاقتراح الرابع في رزنامة جورج مونان الذي حاول به تحديد تاريخ ميلاد اللسانيات.

وفي سياق هذا الانتقال يشير عبد الرحمن الحاج صالح –في لفتة لطيفة– إلى فضل هؤلاء العلماء في بعث الفكر السوسيري واللساني إجمالا، إذ يقول: ".. وكان من حظ هذه النظرية أخيرًا، بل ومن حظ العلم أن انتبه عالمان من كبار العلماء في اللسانيات إلى ذلك الجانب الإيجابي بإدراكهما لمفاهيمها في داخل نظامها (**كما يجب**) كما تفطنا إلى أبعادها الحقيقية ومستتبعاتها في ترقية العلوم الإنسانية، وهما الروسيان: الأمير نيكولاي تروباتسكوي (*1939/1890م*) (*N. Trobetzkoy*) وورومان ياكبسون (*1982/1996م*)، فقد كان وصل إلى موسكو في عام *1917م*، أحد طلبة سوسير يسمى سرج كارسفسكي (*S. Karceviski*) وأطلع اللغويين الشباب الروسيين على نظرية أستاذه فتحمسوا لأنّها جاءت في وقت مناسب.."[5] فقد كان لاستتباع هذه الأحداث التاريخية وتسلسلها الدور الإيجابي المباشر في إعادة سوسير إلى الحياة، وأن يكتب له قدرٌ جديد وفهم جديد أسس له في العقلية الروسية كلّ من (بودوان دي كورتناي) وطالبه الفذّ (كارسفسكي) الذين كانوا يعرفونهما حق المعرفة.

---

*)– تابع سيرج كارسفسكي دروس سوسير في جنيف بداية من سنة *1905م*، وتحصل بعد ذلك على شهادة الليسانس في الآداب سنة *1914م*، ثم عاد إلى وطنه سنة *1917م*، وقد نقل معه الإرث السوسيري إلى موسكو ويعترف ياكبسون صراحة بهذا الدور الذي أدّاه هذا البطل في نقل فكر سوسير بقوله: ".. في سنة *1917م*، رجع كارسفسكي إلى موسكو بعد أن درس عدّة أعوام في جنيف وعرّفنا بجوهر المفاهيم السوسيرية.." ينظر: فردينان دي سوسير، **محاضرات في اللسانيات العامة** إعداد: ألبيرت سيشهاي وشارل بالي، بالتنسيق مع ألبرت ردينجر، تح: تيلو دومورو، تر: جان لويس كالفي، (النسخة الفرنسية)، ص*370*، بتصرف كما عرض هذه الأطروحات السوسيرية في أكاديمية العلوم بالعاصمة موسكو، وقد اشتغل أستاذا للسانيات في مقاطعة إكترونوسلاف في جامعة (*Dmepropetrosk*)، كما شارك في جمع وتوثيق كراسات سوسير ينظر: المصدر السابق، ص *370* وما بعدها بتصرف، وكذلك: جيلي محمد الزين، **المرجع السابق، ص.** بتصرف.

5)– عبد الرحمن الحاج صالح، **دراسات وبحوث في علوم اللسان.** ص*153* بتصرف

لقد قام تروبانسكوي[6] بتطبيق مبادئ سوسير واستخدامها من أجل تعميق وتحليل وتفسير مقولة (الفونيم) وذلك بالبناء على ثنائية (اللسان/ الكلام) من أجل إعادة اعتماد الطرائق التي يتمّ من خلالها دراسة الأصوات اللغوية دراسة علمية دقيقة، منطلقا من مبدإ الفصل والتفريق بين النظام المقدّر (*la facultf*) وتحصيل هذا النظام المقدّر في واقع الخطاب المنجز فعليا بغرض التواصل ،*(l&actualisation)* هذا التفريق بين (اللسان= النظام المقدّر) و(الكلام= تحصيل هذا النظام في واقع الخطاب) الذي استنتج منه البراغيون مبكرًا ثنائية جديدة مجانسة لها هي ثنائية (الحرف/ الصوت) على اعتبار أن الصوت ينتمي إلى الكلام والحرف الفونولوجي ينتمي إلى اللسان، لا بوصفه موادًا وإنما بوصفه (كيانات/ هويّات)[7] مترابطة داخليا بعلاقات صورية (كالاختلاف والائتلاف والتناسب والتماثل والتفاضل والتمايز ..الخ) وبالتالي فإنّ البراغيين قد اعتمدوا في تصنيف الأحداث اللغوية على مفهوم الوظيفة "..ولا يفهم أعضاء هذه المجموعة الوظيفة ***funktion*** بالمعنى الرياضي للعلاقة بين الدوال والكيانات ***funktiven*** على نحو ما استعمل يلمسليف هذا المفهوم، بل بالمعنى اللغوي العادي له حيث إنّ الوظيفة تعني المهمة.."[8] وما توحي إليه الكتابات الأولى لهذه الحلقة أنّهم كانوا بالبساطة والتواضع التي لم تسمح لهم بتقدير أعمالهم على أنّها إعادة نظر جذرية في الموروث اللساني السوسيري، وأنّ فكرهم يصب في بحر لسانيات جديدة، وهو الأمر الذي كان كذلك، وفي هذا تأكيد (لفلابم ماتيسيوس) عندما برّر كيفية استعمال المناهج القديمة على مواد جديدة أو العكس؛ أي استعمال مناهج جديدة على مواد قديمة يقول: ".. يتمّ التقدّم في البحث العلمي بوجهين، الأوّل عن طريق تطبيق المناهج القديمة

---

6)- ينظر عادة إلى حلقة براغ نظرة لا تتجاوز العلماء الأربعة السابقين وهذا على سبيل الاختصار والاشتهار فقط، ولكن من كانوا فعلا علماء براغ فإلى جانب المعروفين كان العبقري (يوسف زوباني)، وتلميذه (بدرش كرفكا وبهوسلاف هافرنك، فلاديم شكالينشكا)، وكذا عالم النفس والمنظر اللغوي والإبستمولوجي (كارل بوبر)، ومنظر الأدب (جان موكاروفسكي) الذي استنتج مع ياكبسون "**الوظيفية الشعرية الجمالية**" للغة، للتحقيق من ذلك، وللتوسع أكثر يمكن الاستعانة بـــ: بريجيه بارتشت، **مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي**. تر: سعيد حسن بحيري، ط*1*، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة مصر: *2004*م ص*115* وما بعدها بتصرف.

7)- جيلي محمد الزين، **المرجع السابق، ص**. بتصرف

8)- بريجيه بارتشت، **مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي**. ص*118* بتصرف

المجربة على مواد وقضايا حديثة، والثاني عن طريق البحث عن مناهج جديدة تسمح بإلقاء ضوء جديد على مشكلات قديمة والتوصل إلى اكتشافات جديدة من مواد قديمة.."[9] فالوظيفة التي درج على تتبعها في الفونيم باعتباره مخالف للاعتقاد التقليدي الذي يرى بأنّه مجموعة من الأصوات، أو الأطروحات الحديثة على أنّه أداة للوصف والتحليل كما سيقدم في كتابات التوزيعية الأمريكية، وإنّما هو "..وحدة فونولوجية مركبة تتحقق عن طريق أصوات الكلام، وعلى هذا فإنّ كلّ فونيم يتكون من عدد من الملامح المميزة الذاتية التي تميزه وحده بوصفه كيانا لغويا.."[10] فالفونيم بهذا التحديد الذي وسّعه البراغيون أكثر ممّا طرحه قبلهم **بودوان دي كورتيناي** كان أوّل استحقاق وتطور للمنهج الوصفي البنوي.

وبالنسبة للسوسيرية فقد كان أوّل جانب يتمّ توسيعه بنجاح، الأمر الذي جعل –**روبن هنري روبنز**– في موجزه يعترف بأنّ هذا يعدّ من أكبر وأعمق الاكتشافات في اللسانيات قاطبة يقول: "..إنّه واحد من أكثر المفاهيم التحليلية أهمية وبقاء في اللسانيات، كما أنّ نظرية الملامح المميزة لا تزال تبحث وتطوّر بشكل فعّال، كما هو الحال في المدرسة التوليدية التحويلية .. وإذا كان هناك .. مفهوم [ما] يملك مفتاحا لفهم التحوّلات في النظرية اللسانية في القرن الحالي فهو هذا المفهوم"[11] وليس من المبالغة في شيء أن نقول إنّ اجتماع هذه المصطلحات الثلاثة (**الوظيفة والفونيم والملامح المميزة**) قد أنتجت علمًا جديدًا يسير جنبًا إلى جنب مع العلم العتيق (**الصوتيات**) ويتفوّق عليه إذ أنّه يتناول الأصوات اللغوية فقط من حيث الوظائف التي تؤدّيها الأصوات أو الفونيمات[12] في التمييز بين

---

9)– ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية**. ص *191* نقلا عن فلايم ماتيسيوس (*1983*: *121*)

10)– فردينا ندي سوسير، **محاضرات في اللسانيات العامة**. تيلو دومورو، (النسخة الفرنسية) ص*360*، كذلك جون دوبوا، **معجم المصطلحات اللسانية**، (النسخة الفرنسية) ص*513*.

11)– روبن هنري روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، تر: أحمد عوض، ص*360* بتصرف وما بين معقوفين من زيادة الباحث.

12)– رومان ياكبسون وموريس هالة، **أساسيات اللغة**. تر: سعيد الغانمي، ط*1*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب *2008*م، ص*35*

معاني الكلم من خلال ثنائية (الصفة/ المخرج)، وهذا ما سمي بعدهم بـــ (الفنولوجيا/*Phonologie*) أو علم الأصوات الوظيفي.

1/2 -1) - الأطروحات المحورية لحلقة براغ اللغوية وإسهامها في حقل الصوتيات الوظيفية:

يتّفق الباحثون والمؤرخون اليوم أنّ حلقة براغ قد نشطت -بشكل ملحوظ- في فترة العشرينات وبداية الثلاثينات من القرن الماضي، وقد تجلى هذا النشاط فعليا في الإبداعات اللسانية العلمية التي قدّمت في إطار تظاهرات علمية حضرها العلماء من جميع أقطار العالم ويعدّ تاريخ (*1928*م) أشهر تاريخ في اللسانيات البراغية كما أشار إلى ذلك -سابقا- جورج مونان، حيث قدّم الأمير (نيكولاي تروبتسكوي) مذكرة عمل خاصة بتناول المسائل اللغوية؛ وكان ذلك في لاهاي، ثمّ تبعه بعد ذلك -بعد عام- **المؤتمر الدولي الأوّل للباحثين في اللغات السلافية**،* ثم تأتي سنة (*1932*م)، ليتم الاعتراف بالفونولوجية كعلم مستقل أثناء فعاليات **المؤتمر الدولي للعلوم الصوتية بأمستردام** ".. حيث بدأ الحديث عن حلقة براغ من خلال تصوّرها الفونولوجي .. إنّ تعدّد الأصوات بين مختلف التخصصات هو خاصية مميزة لحلقة براغ .."[13] ومع ذلك يمكن تصنيف رؤى وآراء تروبتسكوي إلى ثلاثة محاور، وهي إجمالا:

المحور الأول: الذي يُعنى بتحديد منهج الدراسة والكيفية المنطقية التي يقوم بها هذا المنهج في تحليل الأصوات اللغوية، يقول: "..إنّ الوصف العلمي الموضوعي للأصوات الخاصة بلغة من اللغات، يجب أن يشمل أوّلا وقبل كلّ شيء الميزة التي يمتاز بها نظامها الفونولوجي؛ أي المجموعة الخاصة بهذه اللغة من المميزات التي تتمايز بها الصورة الحركية الصوتية فيها ممّا لها دور في التمييز بين المعاني.."، ويواصل قائلا ".. والذي نرجوه ونتمناه هو أن يتمّ تحديد

*)- المؤتمر الذي شارك فيه البراغيون وعلى رأسهم تروبتسكوي كان في السنتين (*1928* و*1929*م)، هما أوّل تظاهرة دولية تخصّ اللسانيات، أمّا المؤتمر الذي شارك فيه (**ياكبسون وكارسفسكي**) بعد أوّل تظاهرة علمية للفونولوجية، وهذا يعدّ أعظم إنجاز للبراغيين، وخطوة عملاقة تخطوها اللسانيات بعدما كادت تختفي مع موت سوسير.

[13]- ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى**. ص *192-193* بتصرف

أكثر دقّة لأنواع هذه المميزات، ومن الهام أن ينظر إلى المتتاليات والمتناسبات الفونولوجية كفئة قائمة برأسها من التمايز، ذلك أنّها تتكوّن من الأزواج المتقابلة التي تشترك في ميزة واحدة على الأقلّ يمكن النظر إليها بمعزل عن كلّ زوج من الأزواج المتقابلة.."،[14] وبالتالي فإنّ هندسة النظرية اللسانية البنوية لا تتناول الأصوات كمواد، وإنّما باعتبارها كيانات تبحث من خلال الملامح المميّزة، ".. وهناك نوعان أساسيان من التمايز وهما: التمايز بين (**الصور المنفصلة/ والصور المتصلة المتناسبة**) فإذا شعر الناطقون بوجود تناسب بين الصورة فليس ذلك إلاّ لوجود سلسلة من المتقابلات الزوجية من النوع نفسه.."[15] وهذا المحور قد أدّى **بالفونولوجيين** إلى صقل نظرة جديدة للأصوات اللغوية نتج عنها اكتشاف أنواع الملامح وحصرها وتصنيفها وهذه خطوة أخرى تمّ التوصل إليها من خلال توسيع آفاق اللسانيات السوسيرية البنوية.

المحور الثاني: وهو الذي توجّه نحو تحديد أكثر للفونيم أو الوحدة الصوتية اللغوية كما نفهمها من مصنفاتهم، وقد حدّده **ياكبسون** على أنّه "..أصغر وحدة صوتية تحدث تمييزا في المعنى أو هو بعبارة أخرى أصغر ذرة في الكلام.."[16] وعلى هذا النحو فإنّ الوحدات الصوتية ليست أصواتا في حدّ ذاتها، وإنّما هي كيان يتألّف من جملة الصفات الذاتية التي تتحدّد بها، وقد تمّ بذلك تجاوز الخلاف التقليدي الذي كان سائدًا بين اللسانيين التاريخين الذين لم يمكّنهم منهجهم من التفريق بين الأصوات وأوجه تأديتها.

ومن هنا خرج البراغيون بجملة من القواعد الخاصة بالفونيم كوحدة وظيفية ووجوه تأديته وتتمثّل في:

أوّلا: القاعدة الأولى: وتمثّل هذه القاعدة الأصوات التي يمكن أن يأتي بعضها في مكان بعض وفي السياق الصوتي نفسه من الكلمة، ومع ذلك لا يختلف معنى آخر أو تصبح الكلمة غريبة في الاستعمال، يقول: "..إذا اطرد صوتان مختلفان من اللغة نفسها وفي مدرج واحد من

---

*[14]- TroubetskoP NicolaP Sergueievitch, **principes de la phonologie**. Paris, klinchseck, 1947-1967, traduction franHaise de Grundzige der phonologie 1939, p33*

[15]- Ibid, p34

[16]– رومان ياكبسون وموريس هالة، **أساسيات اللغة**. ص12

التجاور الصوتي نفسه، وإذا كان ممكناً تعويضُ أحدهما بالآخر دون أن ينتج عن ذلك اختلاف في الدلالة الفكرية للكلمة، فإنّ هذين الصوتين ليسا سوى بديلين لفونيم واحد.."[17] ومثل ذلك ما نجده من الاستعمالات اليومية وبخاصة في التنوعات اللهجية كأن يقوم صوت مقام صوت آخر دون أن يتغيّر الفهم كحرف القاف في الجنوب الجزائري الذي يحلّ محلّ حرف الغين، أو حرف الغين في اللغة الفرنسية الذي يحل محل الراء، وفي تاريخ اللهجات العربية القديمة قد عرفت هذه الظواهر بشكل واسع جدًّا، على نحو ما نجده في (الكسكسة والكشكشة والعنعنة والوتم والاستنطاء ..الخ)، وهذه الظاهرة موجودة في جميع اللغات تقريبا.

ثانيا، القاعدة الثانية: وهي تقريبا بالوصف نفسه الذي سبق مع القاعدة الأولى وبالتدرج نفسه ولكنّها لا تنتهي إلى نتيجة واحدة؛ إذ إنّ معيار المعنى يسجل بحضوره اختلافاتها بين دلالات الكلمات، يقول: ".. إذا جاء صوتان في السياق نفسه –أي رتبته في مدارج الكلمة– ولا يمكن بحال تغيير أحدهما بالآخر مع الاحتفاظ بالمعنى نفسه، أو دون أن تشذّ الكلمة عن الاستعمال، فإن هذين الصوتين هما تأديتان لفونيمين مختلفين .."[18] وهذا حال جميع الكلمات المشتركة في جل الفونيمات ماعدا في فونيم واحد، نحو (نام قام، صال جال، تاب ناب ..الخ) فنلاحظ أن الفرق كان في فونيم واحد فقط –الأوّل– ومع ذلك فقد أدى إلى إنتاج دلالات مختلفة تماما عن بعضها بعضا.

ثالثا، القاعدة الثالثة: وفي هذه القاعدة سيحدّد الأصوات المتقاربة من حيث المخرج ولكنّها لا يقعان أبدًا في السياق ذاته من الحروف ومع ذلك لا يمكن اعتبارهما إلاّ تأديتين تركيبيتين لفونيم واحد "..ويقدّم تروباتسكوي مثالا من اللسان الكوري لتبيان هذه القاعدة، ففي هذا اللسان لا يظهر (***r***) و(***s***) في نهاية الكلمة، وبما أن (***l***) أسناني لثوي جانبي يعني صوت مائل ***liquide*** وأقرب إلى (***r***) منه إلى (***s***) يمكن اعتبار (***l*** و***r***) في الكورية بديلين مختلفين

---

[17]– مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية؛ منهجيات واتجاهات**. ص*242*، وقد تمّ تفضيل هذا المرجع على الترجمة الفرنسية تجنبا لما يمكن أن تحدثه الترجمة من خلل في المعاني الأصولية للاقتباسات، وقد وردت في الكتاب الأصلي ص*47*.

[18]– المرجع السابق، ص*243*، وفي النسخة الأصلية المترجمة إلى الفرنسية، ص *49-50*

لصواتة واحدة.."[19] وهو الحال نفسه في اللغة العربية بين الحرفين (الضاد، والظاء) حيث إنّهما عادة يستعملان بالنطق نفسه ومن المخرج نفسه على أنهما صوت واحد ولكن الحال أنهما مختلفان عن بعضهما تماما.

رابعا. القاعدة الرابعة: وهي القاعدة المبنية على القاعدة الثالثة ولكنها تختلف معها في انتقال من السياق إلى الجوار أو أن يظهر الثاني بمعزل عن الأوّل وهنا لا يمكن اعتبارهما بدلا عن بعضها بعضا.[20] وهذا حال أكثر الفونيمات الموجود في اللغات.

وعلى هذا التفصيل الذي سبق مع القواعد الفونولوجية التي حدّدها تروباتسكوي وقدّمها في مؤتمر لاهاي سنة ***1928***م، ضمن حيثيات ومضامين الاقتراح رقم (***22***) فإنّه ينبغي الفصل والتمييز على بين الصوت (الملامح المميزة/ ***Traits distinctifs***) أو كصفة والمخرج المادي الذي يعبر من خلاله إلى العالم الخارجي –من جهة– وبوصفه فونيما من جهة أخرى، فالأصوات اللغوية التي يحدثها المتكلم هو نتاج عن كيفية معينة في التأدية، وهناك كيفيات لا طائل إلى حصرها حسب الأقاليم والبيئات والتنوعات اللهجية وحسب الأفراد بل وحسب الفرد الواحد الذي لا تثبت أحواله أثناء منجزاته الكلامية مع غيره نظرا للملابسات الفيسيولوجية والسيطرة الاجتماعية التي تختلف من زمن إلى آخر ومن حالة إلى أخرى بحسب السياق والمقام.

المحوّر الثالث. التأصيل العلمي لآراء ونظريات علماء براغ:[21] لقد تحدثنا – سابقا– عن العقلية العلمية الصارمة التي امتاز بها العلماء الروس، ومن تجليات هذه الصرامة الحرص الشديد –أشد ممّا هو الحال عند غيرهم– على تطبيق الإجراءات والأدوات العلمية التي صقلها العلماء واشترطوها في كلّ عمل علمي –هذه الأخيرة– التي حرصوا على جعلها مبدأ في هندستهم للنظرية اللسانية وصبغها بالعلمية (***Scientificit***) المتمثلة في: **الملاحظة**

---

[19]- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية؛ منهجيات واتجاهات**. ص***242***، وفي النسخة الأصلية المترجمة إلى الفرنسية، ص ***49***

[20]- المرجع السابق، ص ***244***، وفي النسخة الأصلية المترجمة إلى الفرنسية، ص ***50***

[21]- جيلي محمد الزين، **الوصفية العربية**. بتصرف

وصياغة الفرضيات وتجريبها والتحقق منها ثم أخيرا صياغة القوانين، وهذا ما يظهر في جميع أعمال علماء براغ كغيرهم،[22] ولكن ما أضافوه وأحسنوا فيه هو أنّهم أصّلوا لنظرية علمية وحدّدوا لها مصطلحات دقيقة منتقاة بعناية شديدة وجديدة في آن واحد، وأخيرا تقديم تعريفات واضحة لكلّ الحدود الإجرائية التي اعتمدوها.

وبعد هذا العرض السريع لأهمّ مقولات البراغيين ننتهي إلى نتيجة هامة مفادها أنّ هذه الحلقة العلمية مثّلت أوّل امتحان صارم للفكر السوسيري توّج بنجاح باهر أسهم مباشرة في دفع اللسانيات إلى المرحلة التالية ونحو مستقبل واعد فضلا عن تقديم فكره بعزم وثقة للعالم كما أنّهم قد حوّلوا مسار اللسانيات إلى الاشتغال أكثر بالبنية والوظيفة، وقد نتج عن ذلك فتح مجال البحث أكثر في البنيات الأساسية للغة التي تقوم بدور إنجاح العملية التواصلية –الوظيفة الأساسة للغة– ولا يمكن مرة أخرى لنا أن نعرف مآل اللسانيات لو لم يحمل علماء براغ على عاتقهم مهمة إحياء السوسيرية.

[22]- المرجع السابق. **بتصرف**